Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الأخلاق، وعلم العادات الأخلاقية

Etics and Social Mores

[1] دة. جازوي أمينة Djazouli Amina
[2] أ.د. شريف الدين بن دوبه Bendouba Charif Dine
[1]. أستاذة محاضرة – ب - جامعة سعيدة / كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
MCB . Saida University
amina.djazouli@univ-saida.dz
[2]. -أستاذ تعليم عالي ، جامعة سعيدة/ كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، مخبر سيغما جامعة وهران1
charif.bendouba@univ-saida.dz

المؤلف المراسل: دة . جازولي أمينة Dr Djazouli Amina amina.djazouli@univ-saida.dz

تاريخ الاستلام: 2024/04/17 تاريخ القبول : 2024/12/17

الملخص

الأخلاق النظرية هي تلك القواعد التي وضعها الفلاسفة لتسيير وتنظيم المجتمع البشري، والمشكلة الأولى التي نصطدم بها هي الطابع النظري المجرد للنظريات الأخلاقية، أما المشكلة الثانية فهي تطبيق النظريات الاخلاقية في الواقع الاجتماعي فالأولى نظرية والثانية عملية وعليه يصعب التوفيق بين النظري والتطبيقي او العملي في الحياة الأخلاقية. وقد حاولت المدرسة الاجتماعية تقديم نظرية أخلاقية تبتعد عن النظري وتقترب من الحياة الأخلاقية للأفراد والمجتمعات ويعتبر كتاب : الاخلاق وعلم العادات الخلقية لعالم الاجتماع ليفي بريل من أهم المصادر الفلسفية في الأخلاق التي تقارب النظرية الأخلاقية علميا.

وسنحاول في هذه الدراسة عرض تحليلي ونقدي لأهم الأفكار والمسلّمات الأساس التي جاءت في كتاب ليفي بريل مبرزين أثرها في ميلاد الأخلاق الجديدة .

الكلمات المفتاحية: الأخلاق النظرية، التطبيقية، النظرية الاجتماعية، الأخلاقية ، العادات الأخلاقية

Abstract

Theoretical ethics are rules established by philosophers for the management and organization of human society, and the first problem we face is the abstract theoretical nature of moral theories, and the second problem is the application of moral theories in social reality, the first is theoretical and the second is practical, and it is therefore difficult to reconcile theoretical and applied or practical in moral life.

The social school has tried to provide a moral theory that departs from the theory and approaches the moral life of individuals and societies

Ethics and the science of morality is one of the most important philosophical sources in ethics that is scientifically close to ethics.

In this study, we will attempt to present analytically and critically the most important basic ideas and postulates that appeared in Lévy Bruhll's book, highlighting their impact on the birth of applied etics .

Keywords: Theoretical ethics, applied etics , social theory, moral.

مقدمة:

الانسان كائن تجعله طبيعته الانسية متعدّد الأبعاد، تكوينية كانت أو غائية؛ فمن ارتباط بعالم الكون (المادة) الذي تحكمه الطبيعة - التي لا تعرف الوثبات - الى أفق متعال تكون الميتافيزيقا مخاضه الرئيس، أفق يكون النظر فعل ومآل له، يبدأ بسؤال يتحول بالضرورة الى تساؤل مركب من عدة عناصر استشكالية تحدد مسار، وخطة الطالب البحثية، وتكون بذلك حياته متعلّقة بمَشكلة الوقائع وأشكلتها، والتي يروم من ورائها صورنة الواقع في منظومة رمزية يصطلح عليها بالمعرفة التي تقع الفلسفة بروحها التساؤلية مدخلا ابتدائيا لكل حقولها البحثية، وممارسة لفعل التقييم لهذه المعارف في محطة النتائج.

الفلسفة بالمنظور الكلي بحث إنساني عن الحقيقة، وطريقة ينظم بها حركة تفكيره، وإن كان الاجماع في حدها بتعريف واحد مسألة إشكالية، حيث كان الاختلاف بين الفلاسفة والمدارس في تعريفها، وتحديد مجالها البحثي ذو حدين متعاكسين، ففي السياق الايجابي يكون الاختلاف إثراءً للتصورات؛ والمناهج تنمو وترعرع داخل حقل التعدّد في التوجّهات الفلسفية، والتي نعتبرها – المناهج - جوهر التفلسف، و روح البحث العلمي بشكل عام، ولهذا يكون الرجوع للمصادر الفلسفية قاعدة رئيسة لتأصيل وتعميق البحث الفلسفي، ونفس الحكم يمتد الى مجالات التخصص داخل الفلسفة، فالتمكن من مجال معرفي داخل الدائرة الفلسفية يقتضي الولوج الى هذا العالم والبقاء فيه، ويمكننا تمثل العبارة التالية: إذا أراد الباحث معرفة الفلسفة ينبغي له أن يستقر فيها وأن تسكن فيه.

وموقع فلسفة الأخلاق في الأنسقة الفلسفية رئيس وجوهري على قاعدة الغائية المحركة للتفلسف بالأصل، والتي تتحدد في تربية الارتباط عند الانسان بالحكمة حبا أو صداقة* والذي هو الارتقاء بالإنسان من خلال ضبط الفعل والسلوك وفقا لمنظومة قيمية يصطلح عليها بالأخلاق فالتفكير في الأصول والمبادئ مبدأ فلسفي بامتياز، والأخلاق بالمنظور الانساني الاعتيادي فعل وممارسة سلوكية فردية – أخلاقية - Moralité وجماعية كعادات وأعراف - mœurs - وبهذا تكون فلسفة الأخلاق واقعية المنطلق وتجريدية المطلب، فالمائز الرئيس للمصادر الأخلاقية هو النظر والتجريد ، وإن كان المطلوب هو تمثل القيم المتعارف عليها في السلوك.

وأهمية الأخلاق في تطوير الحياة الاجتماعية مسألة رئيسة وضرورية لا يمكن التغاضي عنها أو التقليل من شأنها في بناء الحياة الاجتماعية، فبها تتحقق السعادة والطمأنينة في المجتمع، فهي المنبع الأول الذي يستمد منه المشرّع قواعده القانونية التنظيمية، والاعتقاد في مصدرية الدين كمرجع أول لا يتعارض مع التصور الذي نقدِّمه، فالتداخل بين الأخلاق والدين حقيقة واقعة، وإن كان الجدل لا زال قائما بين الفلاسفة حول نسبة التداخل والتخارج بينهما.

وفي هذه الدراسة المتواضعة نروم تقديم الاطروحة الاجتماعية في فلسفة الأخلاق من خلال كتاب الاخلاق وعلم العادات الخلقية لعالم الاجتماع الفرنسي والفيلسوف الطبيعوي – الاتجاه القائل بإمكانية دراسة الظاهرة الانسانية بالأسلوب العلمي المتبع في دراسة الظواهر الطبيعية – ليفي بريل والتي يجتهد فيها في بيان الأساس الاجتماعي الذي تقوم عليه الأخلاق، وتأكيد نسبية الدراسات الفلسفية في التعاطي مع المسائل الأخلاقية، فالمنهج الرصين والدقيق للبحث في الأخلاق حسب ليفي بريل لا يمكن أن يكون بالفلسفة، بل بالمنهج العلمي التجريبي، فالفلسفة النظرية لا تقدم إجابات دقيقة وناجعة للإشكالات التي يطرحها اليومي الإنساني.

وستكون خطة البحث على النحو التالي : عرض مفهوم الاخلاق في سياقاته اللغوية والاصطلاحية، إذ تكون الحدود أو الألفاظ مدخلا رئيسا ولازما لفهم الدلالات والتصورات والفرضيات التي تستبطنها الاشكالية الأخلاقية، فالتعارض الواقع بين الفلاسفة - والذي اعتبره البعض من فلاسفة الشك حجّة على ضعف الفلسفة وعبثيتها – ناتج عن زئبقية المفاهيم والدلالات التي كانت تحملها هذه الاشكاليات، وبعد هذه المحطة سنتوقف عند إشكالية العلاقة بين الأخلاق والعلم، والتي لم تجد الطريق معبدا، بل تخللتها اعتراضات عدة، ومنه انتقلنا الى الاشارة باقتضاب الى المدرسة الاجتماعية الفرنسية التي كانت دراساتها رائدة في الفكر الأخلاقي والاجتماعي، والمتمثلة في مؤلفات: اوجست كومت واميل دوركايم وليفي بريل، وبعدها نقف عند الكتاب الأساس في علمية الأخلاق وهو كتاب: الاخلاق وعلم العادات الخلقية، وبعد العرض نشير الى أثر الكتاب في ميلاد ما يعرف حاليا بالأخلاق الجديدة.

الأخلاق : إن لفظة خلق عند ابن فارس ذات مرجعين*:" الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة

الشيء، فأما الأول فقولهم: خلقت الأديم للسقاء، إذا قدرته.. ومن ذلك الخلق وهي السجية لأن صاحبها قد قدر عليه، وفلان خليق بكذا، واخلق به، وما أخلقه، أي هو ممن يقدّر في ذلك، والخلاق النصيب، لأنّه قد قدر لكل أحد نصيبه، وأما الأصل الثاني، فصخرة خلقاء، أي ملساء."[1]

والمعنى الوارد في النص يشير الى القابلية لأداء، وإنجاز عمل معين، أو صدور سلوك عن فاعل ما، وهذا المعنى نجده واردا في النصوص التراثية التي حاول فيها البعض من المفكرين تقديم تعريف للخلق، وللأخلاق.

وفي لسان العرب: " اشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة، وهي التمرين، من ذلك تقول للذي ألف شيئا: صار ذلك له خلقا، أي تمرن عليه، ومن ذلك الخلق الحسن."[2]

والمعنى الذي نستشفه من تعريف ابن منظور يشير الى الدلالة الثانية التي وردت في التراث الأخلاقي الإسلامي، وهي العادة، والمكتسب، فالخلق ما اعتاد عليه الفرد أيضا من سلوك/ ونجد ان المعنيين متقابلين، الفطرة والاكتساب، فالفطرة ما جبل عليه الفرد، من قابليات واستعدادات، والمكتسب ما الف المرء من سلوكيات، وعادات اخلاقية.

ثم يفسّر ابن منظور ذلك بقوله:" وحقيقته، أي الخلق، أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة، وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة "[3]

وفي هذا المعنى يقول الراغب الأصفهاني:" الُخلْقُ في الأصل شيء واحد كالشّرب والشُّرب والصَّرْمِ لكن خصّ الخَلْقُ بالهيئات والأشكال، والصور المدركة بالبصر، وخُص الخُلْقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة، قال تعالى:(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[4]. والخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقِه قال تعالى:(وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ)[5] وفلان خليق بكذا: أي كأنه مخلوق فيه ذلك كقولك مجبول على كذا، أو مدعو إليه من جهة الخَلْقِ.."[6] والأخلاق جمع خلق بضمّ الخاء وبضم اللام وسكونها، ويطلق الخلق في اللغة العربية على معان.. جاء في تاج العروس:" والخلق بالضم بالضمّ: السجيّة، وهو ما خلق عليه من الطبع، وقال ابن الأعرابي، الخلق: المروءة، والخلق: الدين.. والجمع أخلاق"[7].

ويرفض بعض الباحثين التمييز الذي يقيمه بعض اللغويين بين الخلق بالفتح، والخلق بالضم، من مثل المعنى الآتي:

"خصّ الخَلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة "[8]

لأن استعمال كلمة الخلق والخلق، يكون دوماً متلازمان، فالقول بأن فلانا حسن الخلق، والخلق، يعنى بها حسن الظاهر، وحسن الباطن، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخلق الصورة الباطنة

وخلاصة القول إن الناظر في كتب اللغة يجد أن كلمة أخلاق تطلق ويراد بها الطبع والسجية، والمروءة، والدين، وحول هذه المعاني يقول الفيروزابادى " الخُلْقُ بالضم وضمتّين السجية والطبع، والمروءة والدين"[9]

وعند ابن منظور:" الخُلُقُ والخُلْقُ السجية.. فهو بضم الخاء وسكونها الدين والطبع والسجية "[10]..

ومن خلال هذا العرض نلاحظ ثلاثة أمور هي: الخُلُق يدل على الصفات الطبيعية في خلقة الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة، وتدلّ الأخلاق على الصفات المكتسبة حتى أصبحت كأنها خلقت فيه فهي جزء من طبعه، أن للأخلاق جانبين: جانب نفسي باطني، وجانب سلوكي ظاهري.

وعند مسكويه: "الخلق حال للنفس داعية إلى أفعالها من غير فكر، ولا رويّة"[11]

فالفعل الخلقي عنده يصبح خلقيا عند تحقق التلقائية في الصدور، فيصبح محاكيا للفعل التعوُّدي، حيث ركز علماء الأخلاق في الإسلام، على أصالة الفعل الخلقي أو الخلقية، ولكن بشكل يتبادر إلى الذهن أن الفعل الخلقي، فعل شرطي، وحتمي، تغيب فيه الحرية والإرادة، ولكن سوابق الفعل، أو مرحلة التفكير في الفعل تشترط الوعي، والقصدية.

أما يحي بن عدي* فالخلق .. حال للنفس به يفعل الإنسان أفعاله بلا روية واختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعض الناس لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، وقد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمّد.. ومنهم من يصير إليه بالرياضة"[12]

ونجد في تعريف يحي بن عدي تأثرا بالمجال التداولي الإغريقي الذي استقى إشكالاته الأخلاقية التي تتمركز حول الخلقية بين الفطرة، والعادة المكتسبة، وهذا ما قعّدت له فلسفة الإغريق الخلقية، والتي بنيت على الحقل الدلالي لكلمة ايتيقا.

1. الغزالي (أبو حامد) : الخلق عند الغزالي ليس فعلا، بل هيئة النفس وصورتها الباطنة، حيث تكون القابلية والاستعداد لأداء الفعل هي الدلالة الحقيقية لمعنى الخلق،

فالاستعداد لأداء الفعل هو المعيار في اخلاقية الفعل، أو لا أخلاقيته، ويعرفه الغزالي بقوله:" الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا.."[13]

الدلالة التي تأخذها الأخلاق في اللغة العربية تفتقر إلى الدقة، حيث نلمس ضبابية في المعنى، حيث أن الاصطلاح العربي يعمل "على تحويل الأخلاق إلى حالة تمتزج مع بعض عناصر الشخصية الإنسانية مثل الطبع والعادة والسجية"[14] على حد تعبير نوره بوحناش والدليل التي تعتمده الأستاذة في تبرير الحكم؛ التعريف الذي يقيمه الجرجاني للأخلاق، حيث تصبح الأخلاق سلوكا آليا، يفتقد إلى سمة الإرادة الحرة، والتي تتحدّد بها الأخلاق، والذي ما نصه: " الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإذا كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر من الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقا سيّئا..[15]

وتورد الأستاذة اعتراضات على التعريف التراثي للخلق، أهمُّها المطابقة الدلالية بين دلالة الغريزة، والطبيعة الثابتة، المتحكّمة، والمحدِّدة للسلوك بطريقة قبلية، والتي يترتب عنها فقدان الحكم الخلقي للمشروعية على قاعدة انتفاء حرية الإرادة عند الفاعل الخلقي، وينتج عن ذلك أيضا تجاهل الضمير المحرِّك الرئيس للأفعال الخلقّية الأصيلة، تقول:" يكون الخلق في هذا التعريف مجرد وحدة من الوحدات اللاواعية في الشخصية الإنسانية، فهو يرادف الطباع والعادات السلوكية التي لها أبعاد الضرورة النفسية في حين يمتاز الخلق بخاصية الإرادة .. ويظهر أن تعريف الجرجاني وقبله الفكر اليوناني قد أخلط بين مستويين من مستويات الأفعال الأخلاقية مستوى نفسي أولي، وهو مستوى الغريزة، ومستوى عاقل وواعي هو مستوى الضمير.[16]

وما يلاحظ على الحقل التداولي لكلمة أخلاق في اللغات الأخرى وجود بعض الفوارق الدلالية في الاصطلاح اللغوي، فهناك Morale و éthique

ويلاحظ المفكِّر طه عبد الرحمن على الدلالة الفلسفية للأخلاق في الممارسة التراثية الإسلامية غلبة" صيغة التعريف التي جاءت عند جالينوس* في كتابه الأخلاق، وهي:" الخلق حال للنفس داعية للإنسان أن يفعل أفعال النفس بلا رويّة ولا اختيار... فالأخلاق في مجال الممارسة الفلسفية الإسلامية المنقولة عن اليونان، إذن عبارة عن أحوال راسخة في النفس رسوخ طبع أو رسوخ تعود، تصدر عنها أفعال توصف بالخير أو بالشر."[17]

الأخلاق عند العرب تتقاطع مع لفظ الآداب، وإن كانت الأخيرة تشير الى نمط نظري موجه للعمل والسلوك، فحسب الاستاذ عبد الرحمن بدوي :« ..استعملت – الآداب- للدلالة على الحكم القصار والجمل التي تحث او تعبر عن المعاني الخلقية..[18]» ويستدل عبد الرحمن بدوي على ذلك بنماذج من الكتب التي تميزت بهذه المنهجية مثل: صوان الحكمة لابي سليمان المنطقي السجستاني، وآداب الفلاسفة لحنين بن اسحاق، الأدب الصغير ، الادب الكبير لا بن المقفع ..

في التراث الغربي:

تتقاطع Morale في اللغات الغربية في البناء الصوتي، والدلالي فنجدها متقاربة بين الفرنسية والانجليزية، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية Mores ومعناها العادة، وتناظرها في اليونانية Ethice وفي اللاتينية Ethica. وتصبح الأخلاق بذلك تعبيراً عن الآداب العامة، أو أخلاقيات الحياة الاجتماعية، ولكن الأخلاق الاجتماعية لا تعكس فقط الآداب العامة، فالأخلاقيات الفردية مرجع ثابت في الخيرية الأخلاقية.

يمكن النظر أو التمييز في الأخلاق بين زاويتين عملية، ونظرية، تكون الأولى مادة بحثية للأخلاق النظرية، ومجالا معياريا تقاس به صحّة، ونجاعة القيم الخلقية، وتظهر ضرورة الإشارة إلى النموذجين في الاختلاف الجليّ بين المدارس الخلقية في التعاطي مع المفاهيم، ومع مفهوم الأخلاق ذاته.

البارز في سياق العنوان وبناءه الدلالي أن الصفة الأساس التي تميز هذا النوع من الأخلاق الطابع النظري، على قاعدة التعاطي مع المفاهيم والمبادئ بطريق البحث والتفسير المدرسي، إذ يكون التجريد سبيلا في تعميم ما يصل اليه الباحث في حقل الأخلاق، فوضع الحدود والتصورات في سياق المفهمة والعلاقات اللفظية والدلالية السبيل البارز فيها.

ومن معالم ذلك اجتهاد الفلاسفة والباحثين في ضبط مفهوم الأخلاق والعادات الأخلاقية، ويتبيّن أن الأخلاق مهما غالت في عالم النظر، وأبحرت فيه فإن غايتها الرئيسة تكون في التوجه الى عالم السلوك الانساني، ولكن مؤشرات الخلاف تعمل على

تعميق تلك الهوة التي نفرق بين بني الانسان ، ومن أهمها اللغة التي تزيد الاختلاف حدّة، على قاعدة فهم المقاصد، - فالترجمة تحريف وخيانة - وتعدّد اللغات في عالم الانسان يستشكل الدلالة وإن كان الأصل في الوحدة وليس التعدّد، فمهما كانت الاختلافات بين البشر إلا أن مساحة الشراكة تبقى الأوسع في عالم المطلب، ولهذا اجتهد الباحثين من خلال فرع جديد في علم اللغة يعرف بعلم اللغة التوحيدي على اكتشاف المشترك والكوني في اللغة سواء كان على مستوى المعارف أو القيم. والاختلاف الموجود بين الإيتيقا والاخلاق راهنا بين الفلاسفة يكشف عن المنحى النظري الذي لازال يلازم البحوث الاخلاقية، والتعارض القائم بين الفلاسفة في تحديد القيمة الخلقية باعتبارها ذاتية أم موضوعية.

الأخلاق والعلم:

ساهمت النتائج العلمية في إحداث رجّة داخل البيت الفلسفي، فدقة النتائج المستخلصة، وقابليتها للتجسيد على أرض الواقع في الحقول العلمية دفعت بالكثير من العلماء إلى مراجعة الفلسفة التقليدية، فعلى مستوى الفلسفة الخلقية لوحظ اكتساح المسحة التجريدية على الدراسات الخلقية، فالإنسان المقصود في هذه البحوث لا وجود له في الواقع الإنساني، فهو مجرد تمثل، وتصوُّر لنموذج الإنسان.

وما يهمُّنا من هذه الوضعية التي عرفتها الفلسفة الخلقية التقليدية هو الطابع الإشكالي الذي رافق المسائل الخلقية عبر تاريخها، فالأخلاق تطرح، وتُمشكل عندما تكون أمام أزمة، وعليه فإن البحث عن أخلاق جديدة لواقع جديد مرافق للبحث النظري في الأخلاق، ويمكننا إحصاء المآخذ التي أخذها أنصار الاتجاه العلمي في دراسة الأخلاق على دعاة الأخلاق النظرية فيما يلي:

الاعتراض الأول:

عقلنة القيم الأخلاقية لا يوجب صورنتها بالضرورة، فالقول بمحاكاة المبادئ الأخلاقية لمفاهيم الرياضيات يحمل نوعا من المغالاة، فالفرق بين المفاهيم الخلقية والرياضية راجع إلى مبدأ، ومصدر المفاهيم، فالمفاهيم في الرياضيات إنشاء عقلي خالص أما المفاهيم الخلقية فليست منتوج العقل المجرّد، وهذا ما نستشفُّه من محاولة الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا في ترييض الأخلاق في كتابه الايتيقا.

ولكن التنظير الأخلاقي يبقى محلّ خلاف بين المدارس الكبرى في الفلسفة، والذي يتقاطع مع خصوصيات الدور الفلسفي، فالاعتقاد بأن الحياة الأخلاقية مادة النظرية الأخلاقية، طرحٌ يضع النظريات الأخلاقية في إحراجٍ منطقي تفقد فيه كل محاولةٍ تأسيسية للأخلاق الجدوى والاعتبار، فتتحقق قولة باسكال: "الأخلاق الحقيقية تهزأ من الأخلاق".

الاعتراض الثاني:

يذهب دعاة المدرسة العلمية في الدراسات الأخلاقية أن اصطلاح علم معياري فكرة مردودة، لأن لفظ علم لا يصدق على الدراسة التي تتجاوز حدود الوصف أو الملاحظة أو التقرير..وعليه فإن العلم يتعلق فقط، وحصرا بالظواهر التي تقبل التفسير، والوضعنة، وما ما يرتبط بالفهم، فلا يمكن اعتباره مبحثا علميا، لأن الأخلاق الفلسفية نظر عقلي، فهي تقترب من الميتافيزيقا منها إلى العلم، فالاعتقاد بوجود دراسة علمية ومعيارية في وقت واحد مستحيل عقلا.

الاعتراض الثالث :

تأسيس المبادئ الأخلاقية على قاعدة الكلية والشمولية عمل أثبت نهايته، فالقول بكليته يقتضي التسليم بإمكانية استنباطها بشكل تلقائي، وهذا متعذر إذ أن المفاهيم الخلقية من الصعوبة بمكان حيث يثبت الاختلاف القائم في تصور القيم الخلقية، وممارستها على محدودية القول لأن القول بكليتها يعني وحدتها، وشموليتها، وعموميتها، ولكن الاختلاف الموجود بين القيم بين المجتمعات دليل آخر على نسبيتها..

ودليلهم في ذلك مرده إلى التحليل الذي أجراه العلماء للضمير الخلقي الأوروبي الذي تكون عبر مراحل، وبتأثيرات متعدِّدة، ومتباينة، فالضمير الفردي في حد ذاته نتاج، ومجال لصراع الأضداد، يقول بيلو:

"الضمير الفردي لا يتكوّن فقط من تلك الرواسب التي تراكمت بعضها فوق بعض عبر التاريخ، وإنّما يتكون أيضا من مجموعة من الضمائر الجزئية التي يوجد بعضها إلى جوار بعض كالضمير العائلي، والضمير المهني، والضمير المدني، والضمير الإنساني..وهذه الضمائر ليست دائما على وفاق .. بل كثيرا ما ينشب بينها الصراع أو التعارض، فالشعور الأخلاقي ليس وحدة متماسكة، بل هو مركب من عناصر مختلفة متباينة.[19]

الاعتراض الرابع:

يعترض الوضعيون على المسلمات التي يقيم عليها دعاة الفلسفة الخلقية النظرية أحكامهم، ومبادئهم الكلية، حيث لم يعمل هؤلاء على البحث في صدقية مسلماتهم، فهي تحاكي

القضايا البديهية التي تتأسّس عليها الرياضيات الإقليدية، فالقول بوحدة الطبيعة البشرية، وثباتها عبر الزمان، والمكان، ومعطيات الضمير الخلقي فطرية، ومشتركة مسألة تقتضي البرهنة، والحجة، وليست حقائق بديهية حدسية كما يقولون. وبعودة رواد المدرسة الاجتماعية إلى فروع العلوم الاجتماعية تبين أن فكرة وجود إنسان في ذاته خرافة ميتافيزيقية، فلكل فرد، ولكل شعب طرائقه في التفكير، والشعور، والتعقل، يقول دوركايم: "إن كل عنصر وكل مجتمع إنما يضعان تحت مفهوم الإنسان، إنسان هذا العصر أو ذلك المجتمع. وإذا كان من الحق أن اليوناني قديما لم يكن يحسب للبربري أي حساب فإن من الحق أيضا أن الرجل الأوروبي- اليوم- إنّما يعتقد أن الإنسان هو على وجه التحديد إنسان هذا المجتمع الغربي المسيحي..."[20]

محاكاة العلم تلك العلاقة الأولى بين العلم والأخلاق، أو بين التقدُّم العلمي، والحقول المعرفية التي كانت تحتضنها الفلسفة، فالوصول إلى مستوى الدقة والصرامة المنطقية التي عرفتها العلوم أمل لهذه الدراسات، فحاول الكثير من العلماء قراءة الأخلاق بعين علمية تبتعد بها عن المنحى التجريدي الذي أخذته عبر تاريخها، وسنحاول الإشارة إلى بعض من هذه الدراسات.

المدرسة الاجتماعية وسؤال الأخلاق:

عرفت الدراسات الاجتماعية في بداية القرن التاسع عشر، مع المدرسة الفرنسية ثورة معرفية على مستوى المفاهيم، وعلى مستوى المنهج، حيث كانت موضة العصر آنذاك تكمن في محاكاة العلوم التجريبية من خلال منحاها المنهجي أملا في بلوغ الصرامة المنطقية، والدقة التي كانت تلازم النتائج العلمية، ومن أهم الرواد أوجست كومت[*Auguste Comte*]، وايميل دوركايم [*Émile Durkheim*]، وليفي بريل[*Lévy-Bruhl*] .

وسنحاول في هذه الدراسة تقديم كتاب الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية عالم الاجتماع ليفي بريل والذي يجسد المشروع الاجتماعي للمدرسة الفرنسية في التعاطي مع الأخلاق، من خلال تطبيق الأسلوب التجريبي في دراسة الظواهر الأخلاقية التي ليست الا مظهرا من مظاهر تطور البنيات الاجتماعية

ليفي لوسيان بريل Lucien Lévy Bruhl -1939/1857

عالم اجتماع وفيلسوف أخلاق، ولد بباريس سنة 1857 درس بمعهد شارلمان، ثمّ دخل دار المعلّمين العليا ليتحصّل على شهادة التبريز في الفلسفة سنة 1879 بامتياز.

.تحصّل على الدكتوراه في الفلسفة سنة 1884 وكانت رسالته بعنوان "فكرة المسؤوليّة". أمّا رسالته الثانية، فكانت حول "فكرة الله عند سنيكا"، فتمّ تعيينه في سلك التعليم العالي ابتداء من سنة 1895 بدار المعلّمين العليا ثمّ بجامعة السوربون، حيث خلف منذ 1904 إميل بوترو Emile) (Boutrouxفي منصب أستاذ كرسي تاريخ الفلسفة الحديثة، وظلّ يقدّم محاضرات في تاريخ الأفكار السياسيّة بالمدرسة الحرّة للعلوم السياسيّة.

كان صديقا لإميل دوركايم، ولعلّ هذا ما دفعه إلى الاشتغال أكثر على علم الاجتماع والأخلاق، فأنجز بحوثا عدّة أثمرت كتابين أحدثا ضجّة كبرى لدى صدورهما، وهما "الأخلاق وعلم الأخلاق" (1903) و"الوظائف العقليّة لدى المجتمعات البدائيّة" (1910)

مؤلفاته:

1. فكرة المسؤولية [L'idée De Responsabilité] وهي رسالة انجزها للحصول على شهادة الدكتوراه في سنة 1884 .
2. فلسفة جاكوبي 1894
3. فلسفة اوجست كومت 1900
4. الاخلاق وعلم العادات الأخلاقية la Morale et la sciences des Mœurs تم نشره في سنة 1903
5. الوظائف العقلية في المجتمعات المنحطة : التي نشرها في سنة : 1910

ليفي بريل و أوجست كومت* 1798 /1857:

تظهر العلاقة الحميمية بين ليفي بريل وكومت من خلال الكتاب الذي اعده ليفيب بريل تكريما لأستاذه اوجست كومت، رائد المدرسة الوضعية في الفلسفة الغربية، وان كانت هناك بعض الدراسات من تنسب هذه الجدة إلى الفيلسوف الفرنسي سان سيمون *Saint Simon* وعرف كومت بمبدأ الأحوال الثلاث: Lois des Trois états المبدأ الذي حاول به تفسير الظواهر من خلاله، راجيا بذلك تفنيد التأسيس الميتافيزيقي للمفاهيم، والرؤى، ولكن المدقق في المسألة يكشف أن كومت أراد تفسير الظواهر وضعيا، أو علميا، ولكن الميتافيزيقي لا زالت تهيمن عليه لاشعوريا في القول بفكرة المبدأ، وفكرة التعميم الكلي الذي كان حلم الفلاسفة الأثير.

ولكن التوجّه الكونتي *Comtisme* ساهم في تهيئة المقدمات الأولى للفكر الأخلاقي الجديد، من خلال المساءلة التي أجراها

للأخلاق، ومنا على سبيل المثال لا الحصر فكرة الإيثار، التي يعتقد فلاسفة الغرب أنها بنت للمسيحية، العقيدة التي ساهمت في تأخير النهضة الأوروبية، ودعا إلى قطع الحبل السري مع اللاهوت، والاعتماد على الرؤية العلمية الموضوعية للفرد، وللقيم الجماعية، وكانت دعوته على حد تعبير توفيق الطويل:" تهدف إلى إقامة الحياة الاجتماعية على أساس من محبة الإنسانية، وتغليب الغيرية على الأنانية، والاعتماد في دراستها على الملاحظة دون الخيال، وبذلك عالج الإنسان من حيث هو كائن موجود بالفعل، وليس كائنا نتخيله ونتمنى وجوده.[21]

والأخلاق عند كومت تقع كما يقول ليفي بريل عنه مكانا وسطا بين الفلسفة النظرية والسياسة، فهي ترتكز على الفلسفة وتستمد السياسة مبادئها منها[22]. و هي أيضا تقع خارج الدائرة النظرية، فهي مجال جزئي من الدراسات الاجتماعية التي يهتم بها علم الاجتماع، فالأخلاق عند كونت علم ينظّم انفعالات الإنسان وعواطفه ورغباته على قاعدة خصوصيته الفردية فهي كعلم وضعي تتوقف على علم الاجتماع.[23]

والمشكلة الأخلاقية عند كونت تتلخص في العمل على" تغليب المودة بين الناس على دوافع الأثرة، ولكي تتغلب النزعة الاجتماعية على الشخصية الفردية. - على حد تعبير أوجست كونت-[24]

والملفت للانتباه عند كونت الإشارة إلى عجز كثير من الفلسفات التقليدية، والمؤسّسات الدينية على حلّ الإشكالات الراهنة في الحياة الأخلاقية، يقول ليفي بريل:"...كيف يمكن للعقائد الدينية أن تكون دعامة للأخلاق إذا كانت لا تستطيع أن تنهض بنفسها؟ وماذا ننتظر في المستقبل من معتقدات لم تستطع أن تقاوم تقدم العقل؟ فبدلا من ان تكون المعتقدات الدينية قادرة على تزويد الأخلاق بأساس متين، نجد أنها تنزع باطراد إلى أن تلحق بها ضررا مزدوجا؛ فمن جانب تعارض في أن يحل العقل محلّها في تأسيس الأخلاق ومن جانب لم يعد لها قوة كافية حتى لدى مريديها تمكنها من أن يكون لها اثر على في السلوك..[25]

الأخلاق وعلم العادات الخلقية:

يعتبر كتاب علم العادات الأخلاقية La Morale et La Science Des Mœurs من أهم الكتب النقدية في الفلسفة الخلقية، وهو يتألف من تسعة فصول، وخاتمة. و سنحاول عرض الكتاب أولا ثم نشير الى اهميته في الفلسفة الخلقية، ودوره في تأسيس الأخلاقيات الجديدة، او ما تعرف بالأخلاق التطبيقية.

الفصل الأول: لاتوجد ألأخلاق نظرية: Il n'ya pas ,et il ne peut pas y avoir de morale théorique

اختار ليفي بريل عنوانا استفزازيا للفصل ما نصه:" لا توجد، ولا يمكن أن توجد أخلاقٌ نظرية أو بتعبير الاستاذ محمود قاسم: ليس هناك علم أخلاق نظري وليس من الممكن أن يوجد هذا العلم"

يبيّن ليفي بريل في هذا الفصل الدلالة الحقيقية التي تحملها كلمة نظري، وكلمة تطبيقي، ويناقش الدلالة المزدوجة التي منحها الفلاسفة لكلمة نظري - تطبيقي للأخلاق، ويقرُّ بطبيعة الأخلاق الواقعية، أو الفعلية، وتظهر الواقعية الأخلاقية في التزام الفرد، بالقيم، والتشريعات الاجتماعية، مع الوعي بها.

ويستأنس ليفي بريل بتاريخ العلوم من أجل تأكيد وجهة نظره في التباس مسألة التفرقة بين النظري والتطبيقي، فالعلوم التجريدية مثل الرياضيات لم تستقل وتتبلور الا بعد تجاوز الرابطة البدائية والساذجة التي كانت تجمع العلوم، ويسلم ليفي بريل في البداية بمصادرة تكشف عن المسار الذي يريد ان يسلكه في اثبات البعد التجريبي للدراسات الأخلاقية، والتي يصرح فيها بأن طبيعة العلوم مختلفة، فمنها ما تكون التفرقة بين النظري والتطبيقي يسيرة وممكنة، ومنها ما يتعذر ذلك لدرجة الاستحالة، يقول بريل:" في بعض الحالات تنكون التفرقة بين العلوم والفن- أو بعبارة أدق بين الناحية النظرية والناحية العملية يسيرة جدا وفي بعض الحالات تكون هذه التفرقة أشد عسرا.."[26]

ومن خلال عرض لبعض نماذج من العلوم يصل ليفي بريل الى حقيقة هي أن العلوم لم تتقد الا بعد ان وصلت للحظة ابيستمولوجية نقدية راجعت فيها مفاهيمها، وطرائقها، أو الى قطيعة بتعبير باشلار يقول : " ..على الرغم من اننا لا نريد ان نرسم هنا الخطوط الرئيسية لتاريخ العلاقات بين الطب والعلوم التي يعتمد عليها، فانا نرى في هذه الحال كيف انفصل البحث النظري بالتدريج عن وجهة النظر العملية، بل نستطيع تحديد المراحل الرئيسية لهذا التطور .لقد تمت التفرقة اولا ، ثم اتضحت معالمها بالقدر الذي تجرد فيه العلم بمعنى الكلمة من الطابع الشخصي أي بالقدر الذي تمت فيه التفرقة بين الظواهر والقوانين التي تجب دراستها،

وبين المعتقدات والعواطف والمطالب العملية التي كانت غير مفصلة عنها في مبدأ الامر من جهة أخرى.."[27]

وما توصل اليه ليفي بريل أن العلوم الصحيحة او الدقيقة، والتجريبية لم تدمج بين العلم والعمل أو بين الدراسات النظرية، والأبعاد التطبيقية لهذه العلوم، و الفصل بين الموضوع البحثي، والآثار التطبيقية لهذه النتائج أمر لازم، ولهذا يستند ليفي بريل على هذه القاعدة لتفنيد البعد النظري الصرف للأخلاق، فهي تحمل في طياتها تناقضا واضحا، فهي بالأصل علم تشريعي" .. ليست وظيفته المعرفة؛ بل إصدار الأحكام، إذ يرى على الأقل أن المعرفة وتحديد قواعد السلوك ليسا الا شيئا واحدا بعينه فهو يهدف الى ارجاع القواعد التي توجه الناس في سلوكهم الى مبدا وحيد.."[28]

كما يناقش بريل صفة المعيارية التي يقدمها علماء الأخلاق كخروج من المأزق الابستيمولوجي الذي تم الجمع فيه بين النظري او العلم بالشيء وتطبيقاته، مثل" فونت" الذي يشير اليه بريل في المتن، فهي على حد تعبيره تحمل تناقضا، ويتسائل ليفي بريل مستنكرا بإمكانية قبول علوم تعرف بالمعيارية أصلا، يقول في ذلك :" ..إن كل معيار خاص بالسلوك أي بالعمل، فهو لا يخضع للمعرفة الا على نحو غير مباشر، أي على اعتبار انه نتيجة لها فإذا كان هذا المعيار تجريبيا فإنه يعتمد على التقاليد والمعتقدات والتصورات التي قد تكون صلتها بالحقيقة الموضوعية بعيدة ان قليلا وان كثيرا اما إذا كان عقليا فإنه يعتمد على المعرفة الدقيقة لهذه الحقيقة، أي على العلم ولكن لا يترتب على هذا أننا إذا نظرنا الى العلم في حد ذاته كان معياريا."[29]

التوجه السوسيولوجي في الأخلاق ليس طفرة في تاريخ الأخلاق بل كان نتاج تراكمات بحثية عدة، وإن كانت ليست بالحجم الواسع، فمقاربات اسيبيناس espinas خلال دراسته للمجتمعات الحيوانية، وبحوث اوجست كومت في السياسة الوضعية ، وتبلور قليلا مع دراسات ومؤلفات اميل دوركايم في كتابله:" توزيع العمل الاجتماعي 1893 " وقواعد المنهج في علم الاجتماع 1894" والانتحار والاشكال البدائية للحياة الدينية، وكانت دراسات ليفي بريل مساهمة رئيسة في تقعيد الموقف السوسيولوجي من الأخلاق.

ومن الاعتراضات التي قدمت للمذهب الاجتماعي مغالاته في رفض المنحى النظري في الأخلاق على قاعدة التباس دلالة العلم على رواده، حيث يذهب توفيق الطويل الى أن: " ..هذا المذهب ضيق افقه في فهم العلم باعتباره العلم الطبيعي الذي لا يقوم على غير المنهج التجريبي، وعلى فهم عاش منتصف القرن الغابر، ثم اتسع فهم العلماء لمعنى العلم فأدخلوا في مجاله كل دراسة منظمة ترمي الى معرفة الحقائق وتفسيرها في ضوء منهج تجريبي أو عقلي أو ذوقي، ومن ثم اصبح المنهج العلمي أعم من المنهج التجريبي وأشمل.."[30]

ولكن الموضوعية تقتضي منا التعامل مع الموقف في سياقه الزمني والثقافي، فمحاولة المدرسة الاجتماعية كانت في بداياتها، والدراسات الاجتماعية لم تبلغ بعد ذروتها، ولكن بالنظر الى النظرية من خلال الراهن الذي كان مستقبلا بالنسبة لها آنذاك نلمس حضورا ودورا بارزا في البحوث والدراسات الأخلاقية، خصوصا ما ارتبطت نتائجه بالانتثروبولوجيا والاثنوغرافيا.

الفصل الثاني: ما المذاهب الخلقية في الوقت الحاضر ؟

يشرع ليفي بريل في هذا الفصل في تأكيد وجهة نظره من خلال دحض الاسس المعتمدة لدى الاتجاه القائل بنظرية الأخلاق، وهو النظر في اسس المذاهب الأخلاقية، وبيان تضاربها، وتعارضها في الجانب التأسيسي، فالمذاهب الخلقية تجسد الحضور الفلسفي في الأخلاق، بأسلوبه الجدلي المعتاد ، فالشيء الثابت في الأخلاق هو البعد العملي، فالاتفاق الاجتماعي في ممارسة الأخلاق يثبت المنحى العملي لها خلافا للجانب النظري الذي لم يتفق يوما قط في النظر الى الأخلاق، وهذا الاختلاف القائم يؤكد عدم وجود صلة منطقية بين قواعد السلوك وبين المبادئ التي يستنبطها الفلاسفة من هذه القواعد، ويستأنس بريل بـ " بول جانيه Paul Janet الذي ذهب الى ان البدء بالنظري في الأخلاق للوصول الى العملي لا يصل بنا الى شيء، والمذاهب الأخلاقية النظرية – كما يقول - تختلف فيما بينها ، في حين تتفق الأخلاق العملية، فليس من الممكن التوفيق بين مختلف المذاهب الأخلاقية وكل منها يبرهن على فساد غيره من المذاهب من جهة المبادئ ولكنها تتفق على الواجبات التي يجب القيام بها.."[31] .

وعليه تصبح الأخلاق العملية أصل وتقعيد لازم وضروري للدراسات الأخلاقية، فالانطلاق من تصورات نظرية حالمة في الأخلاق لا تنتج الا قيما سلبية، وغير فاعلة تكرس قيم الوهم كبديل عن القيم الفعلية والفاعلة، وظهور بعض المذاهب الأخلاقية التي تقدس الفعل، والعمل في نظر بريل ليست الا

طفرة في تاريخ المذاهب الأخلاقية، وهي مذاهب شاذة على الرتابة النظرية في الأخلاق، والكلبية، والابيقورية، وغيرها .. و نظرة فريدريك نيتشه Nietzche النقدية لتلك المذاهب النظرية يعتبرها نادرة ولم تؤثر الا في طائفة ضئيلة من الجمهور.."[32] وهي محدودة الأثر انطلاقا من عدة اعتبارات، فالتوجه نحو العملية عند هؤلاء لا ينبع من نظرة أو تصور فلسفي، بل يصدر عن تجربة شخصية، فهي – على حد تعبير ليفي بريل – طبقة مرهفة الحس تستطيع أن تعير آذانها الى نصائح عملية تثير حب الاطلاع لديها، دون ان تطابق بين هذه النصائح وبين سلوكها مباشرة. وليست هذه المذاهب الشاذة نظريات خلقية حقيقية – أي محاولات منظمة لوضع مذهب جديد – بقدر ماهي احتجاج ضد العادات العتيقة او الرياء الخلقي."[33]

كما يستند ليفي بريل الى التناقض الصارخ بين النظريات الأخلاقية الكبرى لتأكيد فساد التصور النظري لأخلاق، فالمبادئ التي اسس عليها رواد المدرسة الرواقية والابيقورية كانت مضادة ، وحتى تصورها للطبيعة الانسانية كان ايضا متضاد تمام التضاد.

ونلمس من الفصل الثاني المصادر السابقة، والمرجعية النقدية التي اعتمدها ليفي بريل في نقد الأخلاق النظرية، حيث استأنس بالفيلسوف الفرنسي الفرد فوياليه Alfred fouillée [1838-1912] صاحب كتاب نقد الأنساق الأخلاقية المعاصرة Critique des systèmes de morale contemporaine .وحسب الفيلسوف فوياليه أن البحث في الأخلاق النظرية انحرف عن مساره العلمي، وانغمس في توجهات ذاتية، وبهذا تكون الدعوى التأسيسية النظرية للأخلاق ليست الا تبريرا لمواقف شخصية ، "..فكل مذهب خلقي سواء أكان قائما على مبادئ كانت ام نقديا نفعيا، ام متشائما، ام وضعيا، ام ثوريا، ام روحيا، ام دينيا، يدافع دفاع الغيور عن اصالة مبدئه النظري ضد اعتراضات المذاهب الأخرى. ولكنه لا يتردد في استخدام نفس الصيغ التي تستعملها المذاهب المنافسة له لكي يحدد القواعد التي توجه السلوك، والاوامر الأخلاقية الخاصة و بالعدل والاحسان. .."[34]

الفصل الثالث: مبادئ الأخلاق النظرية

يناقش ليفي بريل الأسس التي تعتمدها الأخلاق النظرية، والتي تضفي على نفسها الشرعية من خلالها، والتي يراها متجسدة في مصادرتين: القول بوحدة الطبيعة البشرية، والقول بتناغم المكونات القيمية للضمير الخلقي، والتي يثبت من خلال التحليل، والتعليل محدوديتهما.

المصادرة الأولى:

"Le premier de ses postulats consiste à admettre l'idée abstraire d'une nature humaine, individuelle et sociale, toujours identique à elle même dans tous les temps et dans tous les pays, et à considérer cette nature comme assez bien comme pour qu'on puisse lui prescrire les règles de conduite qui conviennent le mieux en chaque circonstance."[35]

المصادرة الثانية:

La conscience morale de l'homme posséderait une unité organique , une sorte de finalité interne, comparable à celle des êtres vivants,, les commandements qu'elle édicte soutiendraient entre eux des rapports logiquement irréprochable , et cette unité harmonique de la conscience morale correspondrait à l'unité systématique de la morale théorique.[36]

ويقوم الفيلسوف بارودي ببيان الموقف النقدي الذي تعاطى به ليفي بريل مع هاتين المصادرتين، فيقول:".. ولكن التاريخ وعلم الاجتماع يبديان لنا أن الوجدان متباين مع نفسه بدون انقطاع، وأنه في كل عصر ثمرة من ثمار شروط اجتماعية معقّدة متعددة متنوعة، وأنهمّا يكشفان فيه عن إلزامات، وممنوعات، ومنابع جد متباينة، وطبقات متعاقبة، وغير منظمة."[37]

تقوم الأخلاق عند ليفي بريل على معطيات، وإمكانات موضوعية تسمح لإضفاء البعد الموضوعي على الدراسات الأخلاقية، وعلى حدّ تعبير بارودي :" مادام أن الأحداث الأخلاقية أو الفكر الأخلاقية المعينة هي أحداث واقعية لا يقدر العالم على أن يفكر في استبدالها، فإنه مع ذلك يستطيع أن يدرسها ويقسمها وأن يحاول انتزاع القوانين منها كما يفعل البيولوجي مثلا، وسيكون ذلك إنتاجاً لعلم

التطبعات الذي سيصير نظريا وشارحا مادام أنه سيكف عن أن يكون بذاته قاعديا[38] .

يقول ليفي بريل: أننا نستطيع أن نتمثل عن الحقيقة الأخلاقية في الوقت ذاته صورتين، إحداهما ذاتية والأخرى موضوعية، إذ يمكن من ناحية أن نخضع لأثر الواقعية الاجتماعية التي نحن منغمسون فيها وان نشعر بها تتحقق في وجداننا الخاص، ونستطيع من ناحية أخرى ان نستولي في تلك الواقعية المدركة موضوعيا على العلاقات الثابتة التي هي القوانين ."[39]

فتقنين الأخلاق، والسعي نحو إضفاء الموضوعية العلمية على البحث الأخلاقي كان عنوانا لذلك العصر، وسمة البحث العلمي آنذاك، والتي كانت سلاحا ذو حدين على الأخلاق، حيث كانت عضوية الفرد الإنساني المجال الأكبر ، والحقل البحثي لهذه العلوم، والمستفيد الأول أيضا حيث عملت البيولوجيا بعلومها الفرعية الطب والفيزيولوجيا على تقليص نسبة الوفيات عند بني البشر، وعلى فتح المجال أمام البحث العلمي بالتصرف، والتغيير في مسارات العضوية، والذي فتح نقاشا جديدا في الفكر الأخلاقي.

وفي الفصل الرابع الذي يعنوه في صيغة إشكال ينطلق ليفي بريل من مصادرة يسلم فيها بطبيعة العلاقة بين الجانب النظري والتطبيقي في الأخلاق، إذ أن الأخلاق النظرية ليست كما يقول الا صورة مجرّدة من الأخلاق المطبقة في مجتمع معين.."[40] فالقيم الأخلاقية النظرية ليست الا انعكاسا او تجريدا لمعطيات سلوكية عملية، والفيلسوف الأخلاقي لا يقدر على تقديم أطروحته ونظريته الأخلاقية الا بعد موافقة وقبول من قبل السلطة الاجتماعية، فهو كما يقول بريل :" لا يستطيع مهما كانت عبقريته، ان يحمل الناس على قبول مذهبه في الأخلاق الا اذا لم يبتعد كثيرا عن موافقة الضمير الأخلاقي العام في عصره في حين ان هذا الضمير عندما يفرض نفسه بسلطة مطلقة لا يحتاج البتة الى البحث لنفسه عن نظرية مجردة يقوم على أساسها.."[41]

فالأخلاق مؤسّسة موضوعية ومستقلّة على التأسيس النظري، ومعطى جاهز قابل للملاحظة والدراسة التجريبية، فهي كباقي المؤسسات الاجتماعية موجودة بعيدا عن الافراد أي لا تحتاج الى وجود الافراد لكي تكون، وعليه تصبح التفلسف او التنظير للأخلاق في نظره عديمة الجدوى، "إنشاء الأخلاق أو استنباطها بطريقة منطقية محاولة لا معنى لها تماما، كما لو اراد الانسان أن ينشئ او يستنبط الدين او اللغة او القالون بطريقة منطقية وبالاختصار نرى أن الاخلاق ظواهر تقع تحت الملاحظة.."[42]

ويعتبر ليفي بريل أن مشروعية المراجعة المفهومية والموضوعية للأخلاق النظرية تمرّ أيضا عبر طريق مراجعة مفاهيم الأخلاق المعتمدة في التعريف وضبط المفهوم، ويقدّم ليفي بريل ثلاث مفاهيم.

الأول المعنى الذي يشير الى " مجموعة الأفكار والأحكام والعواطف والعادات التي تتصل بحقوق الناس و واجباتهم بعضهم تجاه بعض، والتي يعترف بها ويقبلها الأفراد بصفة عامة، في عصر معين وفي حضارة معينة."[43] ومن خلال هذه الدلالة يقر بنسبية الاخلاق وقابليتها للدراسة، وتكون عبارة عن "مجموعة من الظواهر الاجتماعية الشبيهة بمجموعات الظواهر الأخرى التي تنتمي الى هذا النوع نفسه كالظواهر الدينية والتشريعية واللغوية.[44]

و تطلق ايضا اسم الاخلاق على العلم الذي يدرس هذه الظواهر كما ان علم الطبيعة يطلق على العلم الذي يدرس الظواهر الطبيعية.. " والالتباس الذي يتضمنه التعريف في نظر ليفي بريل أن علم الطبيعة يستخدم فقط في الدلالة فقط في الدلالة على العلم الذي يسمى موضوعه الطبيعة وتستخدم كلمة اخلاق للدلالة على العلم وعلى موضوعه في آن واحد "

والمعنى الثالث للأخلاق حسب ليفي بريل هو ما تعلق بالنظر اليها من خلال تطبيقاتها، ومنها كمنا يقول : تقدم الأخلاق، تقدم فنون الحياة الاجتماعية، وزيادة النزعة الانسانية في العلاقات بين الطبقات الاجتماعية او بين الامم.

وتعدد الدلالات التي تقرأ بها الأخلاق تحدث التباسا لدى القارئ الباحث، والذي انعكس سلبا على القضايا الأخلاقية، مما دفع الكثير الى اعلان الثورة على الأخلاق الميتافيزيقية النظرية ومنهم رواد المدرسة الاجتماعية، و في الوقت الراهن نجد في الأخلاق التطبيقية تعبيرا حيا لهذه الأزمة.

وفي الجزء الثاني من الفصل يتعرض الى العلوم النظرية التي تعمل على تطوير علم العادات الخلقية أو الاخلاق بالمفهوم العلمي، وبالنظر الى تاريخ العلوم لم يستقل وتتقدم العلوم الا بعد مسار طويل أحيانا تكون فيه خطية، وتارة تكون عمودية تقوم فيها البحث على مراجعة نقدية للمفاهيم والتصورات، فعلوم الطبيعة مرت بمراحل اقترن فيها التفسير للظواهر

بإرجاعها لظواهر مفارقة لها (التفسير اللاهوتي) الى ان وصل مع الفلسفة الى تعليل الظواهر بإعادتها الى علل محايثة للظاهرة (التفسير الميتافيزيقي) والمكانة التي بلغها علم الطبيعة نتاج تراكم ومراجعة كلفت التضحيات الجسام من قبل العلماء، وحسب ليفي بريل فإن هذا العلم لن يشق طريقه بيسر ، ولهذا لن يتقدم علم الطبيعة الخلقية كما يصطلح عليه الا بعد تجاوز العوائق التي عايشتها علوم الطبيعة، يقول:" ..سينحصر التقدم ..في الاستعاضة عن التفكير الفلسفي الذي يحاول الفهم بالمجهود المنهجي الذي يبحث عن المعرفة وسيفطن العلم الجديد الى مجال بحثه الشاسع الذي لم يتم الكشف عنه حتى الان.."[45]

وبما أن العلوم الطبيعية اعتمدت على الرياضيات في بلورة وتطوير بحوثها، فإن علم الظواهر الاخلاقية يعتمد هو ايضا على مجموعة من العلوم في تأسيس منظومته البرهانية، فالعلوم التاريخية تقوم بنفس الدور الذي يقوم به الرياضيات في العلوم الطبيعة، يقول:" ولاريب في انه ينبغي لنا الا نغلو في المماثلة بين وظيفة العلوم التاريخية في علم الطبيعة الاخلاقية وبين وظيفة العلوم الرياضية في علم الطبيعة بمعنى الكلمة فالعلوم الرياضية تمدنا ببراهين تسمح لنا بالتعبير عن مشاكل علم الطبيعة بمعادلات في حين ان التاريخ مهما كان موضوعه الخاص لا يوقفنا قط الا على معرفة الظواهر ومجموعات الظواهر ويترك العناية بتحديد القوانين والبرهنة عليها لعلم اخر.."[46]

و يستخلص ليفي بريل مجموعة من الشروط اللازمة لقيام علم الطبيعة الأخلاقية كما يصطلح عليه، وهي استخدام التاريخ في الكشف المنهجي عن الظواهر الاجتماعية الماضية واستخدامه في الوقت نفسه، وباستعمال التاريخ المقارن في مجالات النظم والقوانين يمكننا من معرفة بعض الحقائق، والشرط الثاني هو تجاوز التفسير الميتافيزيقي وانتهاج الأسلوب الوضعي في دراسة الظواهر.

ويخصص ليفي بريل في الفصل الخامس للرد على مجموعة من الاعتراضات التي قدمها الفلاسفة ورجال النظر الاخلاقي أهمها :

نسبية المعرفة الاجتماعية:

على قاعدة الارتباط التي تجمع بين تطور العلوم الاجتماعية التي يعتمدها علم الطبيعة الأخلاقية، ونسبية التقدم في النتائج البحثية تصبح النتائج العلمية في علم العادات الخلقية مرهونة بأمر ليس واقعا بل احتماليا، ويدخل في مجال الامكان ليس إلا.، ويعبر عنها بريل بقوله:".. إن السلوك العملي الذي يعتمد على أسس عقلية يتوقف وجوده على مقدار ما تحرزه العلوم الاجتماعية من تقدم وما زالت هذه العلوم في مرحلتها الاولى..."[47]

ويرد بريل على الاعتراض بالقول بنسبية العلم، فالعلوم مهما أحرزت من تقدم على المستوى النظري والتطبيقي إلا أنها لا زالت تصطدم بإشكالات وحالات استعصت حلولها عليها، كما أن الطبيعة الاجتماعية عند الفرد قبلية وفطرية ولا تحتاج الى تدليل أو نتائج علمية، فالشعور الأخلاقي حقيقة موضوعية لا تحتاج الى برهنة وتدليل، والايمان بالنسبية عند العلماء قابلته في تاريخ العلوم دوجمائية مطلقة، وتسليم بالصحة والقطعية، "فالطبيب عند لدى الهمج بل الطبيب منذ عدة قرون كان لا يشك مطلقا في تأثير علاجه تأثيرا فعالا. اما اطباؤنا فقد اصبحوا بسبب تقدم المعرفة اكثر تحفظا وريبة.."[48]

والأخلاق عند بريل موضوعية، ومسألة واقعية، وليست نتاجا لأقلام الفلاسفة، فالمجتمع لم ينتظر الفلاسفة ورجال الفكر حتى يمارس سلوكاته وعاداته وتقاليده، بل الفيلسوف هو من اعتمدها في تنظير نسقه الأخلاقي والقانوني، فعلى قاعدة طبيعتها التي تتركب من :" مجموعة الواجبات التي تفرض نفسها على الضمير فإن وجودها لا يتوقف على المبادئ النظرية التي يمكن أن تكون أساسا لها، ولا على العلم الذي يمكن ان نصل اليه بشأن هذه المجموعة من الواجبات.. فالأخلاق توجد بقوتها الخاصة Vi Propria على اعتبار انها حقيقة اجتماعية تفرض نفسها على الفرد بصفتها الموضوعية.[49].

ويترتب على ذلك التسليم بنسبية الاخلاق، وارتباطها بمجموعة القواعد التي يرسمها المجتمع عبر تراكم تاريخي واجتماعي، وهذا التسليم انتج اعتراضا آخر للطرح الاجتماعي في الأخلاق وهو نسبية الضمير الخلقي الذي كان ولازال صاحب مطلقية في الأوامر والنواهي، فالواجب الأخلاقي منزه ومعصوم من الخطأ كما تسلم بذلك الأخلاق النظرية، وقد عبر ليفي بريل عن ذلك بقوله:".. ينحصر هذا الاعتراض في المناداة بأن الواجب الأخلاقي لا يمكن التعرض له بالنقد، وانه يتصف بالقداسة فلما كان نوعا من الوحي الطبيعي (ويقول كانت انه وحي عقلي) تطلب احتراما مطلقا.."[50]

ويناقش ليفي بريل هذا التصور بالبحص في جذور الاعتقاد بالواجب، فهو يعود حسب ليفي بريل الى ظواهر اجتماعية كانت سائدة في زمن غابر تركت بصماتها على الارادة العامة وبعده انتقلت الى الافراد، فالأوامر المطلقة كانت :"..نتيجة لعقائد اندثرت؛ في حين ان الأعمال الأخلاقية الناجمة عن هذه العقائد احتفظت بوجودها وأحيانا كانت مصلحة الجماعة تقتضيها.."[51] فالتحليل الاجتماعي يثبت مرجعية اجتماعية صرفة للظواهر الأخلاقية تسمح بالقول بإمكانية دراستها دراسة علمية.

الفصل السادس : السوابق التاريخية لعلم العادات الأخلاقية.

يستهل ليفي بريل الفصل بمقدمة منهجية يبين فيها العوائق الثقافية التي تحول دون تقد علم من العلوم مستأنسا في ذلك بأستاذه اوجست كومت، والتي يعبر عنها بالتالي:" لا يلمح الناس بصفة عامة الانقلابات الكبرى في المناهج الا عندما تكون على وشك الانتهاء، اما بدايتها غير محسوسة.."[52]

والمقاومة الاجتماعية التي يجدها العلم والعلماء ناتجة عن الشعور بالتهديد الذي يعتري السلطة الاجتماعية المجردة، أو السلطة الضاغطة الموجودة داخل الجماعة، وتبقى السلطة عائدة للتاريخ الثقافي والاجتماعي للجماعة، فالميل الى المعرفة الدقيقة فطرة عند كل أفراد المجتمع، ولكن السلطة القائمة تأبى التجاوز، كما يشير بريل الى النتائج التربوية في تدريس الأخلاق، فهي تعيق وتساهم في تأصيل وتعميق هذه الهوة المنهجية، إذ يعمد العلماء وأساتذة الأخلاق الى تلقين وتدريس الأخلاق بالأسلوب الكلاسيكي رغم ايمانهم العميق بأهمية ودور العلوم الاجتماعية في ذلك " ..وهكذا يوجد عدد كبير من الفلاسفة او بعبارة ادق من أساتذة الفلسفة الذين يشعرون بميل نحو علم الاجتماع مدفوعين الى ذلك بعاطفة قوية صادقة، فيسلّمون بالآراء الرئيسية فيه."[53]

. ويعمد ليفي بريل الى عرض السوابق التاريخية لعلم العادات الأخلاقية فهي كثيرة ، ومنتشرة في عدة علوم اجتماعية ولغوية إذا جاز التعبير عنها على قاعدة ارتباطها بالفرد والجماعة مثل الدراسات اللغوية، والفيلولوجيا، فهي بمناهجها، ونتائجها أسست للروح العلمية، فمن الشك الى التحليل والنقد والبناء كانت المنهجية البحثية فيها، أما النتائج فستكون حتما مهمة للجماعة، وحسب بريل فإن مقاربة هذا النمط من الدراسات مع البحوث الأخلاقية يساهم في تطوير المناهج داخل الحقل البحثي للظاهرة الأخلاقية، يقول بريل:".. شعر كبار علماء فقه اللغة شعورا واضحا بأن بحوثهم ، وان كانت بحوثا نظرية مستفيضة وتفصيلية، فإنها تحمل في ثناياها ميزة جديرة بأن تحاكى وقد أشاروا الى قيمتها الاجتماعية الكبرى.[54]

يمكن القول ان محاولة ليفي بريل جد جريئة وقوية بالنظر الى محددات العصر الذي ينتمي اليه، فبالفعل يلمس هذا في الدعوة الجديدة الى مبدأ التكامل المعرفي، والدراسات البينية، فلا يمكن إقامة أي علم اجتماعي مهما كانت طبيعته الموضوعية، دون الاعتماد على النتائج المقدمة في فروع اجتماعية أخرى، ونفس الشيء ينطبق على الأخلاق، فالظواهر – كما يرى ليفي بريل – التي تدرسها هذه العلوم – تاريخ اللغة المقارن وفقه اللغة - تجمع في آن واحد بين خصائص الحقيقة الطبيعية الموضوعية وبين خصائص الحقيقة الأخلاقية التي اعتدنا ان ننظر اليها في مظهرها الذاتي بصفة خاصة.."[55]

ويؤكد بريل ان تطبيقات العلوم المساعدة – إذا جاز التوظيف – لعلم العادات الأخلاقية تساهم بشكل فعلي في تطوير النتائج، وتجاوز المسائل التي جعل التعامل معها بشكل مستقل وجزئي في تأخير إدراك النتائج فيها، "..نستطيع القول بأن العلوم التي تدرس هذه الظواهر قد كتب عليها أن تستخدم كقنطرة تعبر عليها الطريقة التي يستخدمها علماء الطبيعة وعلماء وظائف الأعضاء عندما تتطرق الى العلوم المسماة بالعلوم الأخلاقية وهذا ما حدث بالفعل فقد وجد الاخوان - جريم – ان بحوثهما في فقه اللغة تقودهما على نحو غير محسوس الى تطبيق نفس المنهج في دراسة الاثار والتقاليد الشعبية الجرمانية أحيانا.. وفي دراسة العقائد والعادات الأخلاقية..[56]

ويعتبر أيضا أن حضور النظريات التطورية في العلوم الاجتماعية يساهم بشكل بارز في تطوير مناهج هذه العلوم، حيث أسست لمنهج جديد تحليلي تكويني يتتبع العلل من خلال جزئيات الظواهر، والظواهر الأولية المشكلة لها، وبما أن ماضي الحوادث ضروري ولازم في البحث، فإن الاعتماد على التاريخ يكون قاعديا وعليه أصبح تطوير مناهج البحث التاريخي لازمة منهجية وعلمية لجميع العلوم، ويشير الى ذلك في قوله:".. دخل علم التاريخ دخول الظافر الى عدد كبير من المناطق التي كانت تدرس فيما مضى، بطريقة مختلفة كل الاختلاف أي بناء على وجهة نظر اعتقادية أو أخلاقية، او

بالتحليل المجرد وهكذا حور شيئا فشيئا كلا من علم الاديان وعلم القانون والآداب والفنون والصناعات والنظم، وفي الجملة ادخل تحويرا تدريجيا على جميع الموضوعات التي انت تدرسها العلوم الاخلاقية القديمة.[57]

وعليه فتاريخ العلوم يثبت أن العلوم لم تتقدم الا بعد صراع ومحاولات جادة في تطوير المناهج العلمية لهذه العلوم، ونفس الشيء ينطبق على علم العادات او الظواهر الأخلاقية ، فالمقاومة الاجتماعية والعلمية للتجديد داخل الحقول العلمية أمر واقع لا يمكن إقصاءه او تهمشه، ولكن النتائج المستخلصة في المستقبل تثبت ضرورة الكفاح والاجتهاد في البحث العلمي.

وفي الفصل السابع نجد العنوان التالي الأخلاق الطبيعية، وفيه يجتهد ليفي بريل في تأكيد البعد الطبيعي لعلم الأخلاق، في مقابل الميتا أخلاق التي كانت سائدة في التراث الفلسفي على قاعدة الاشتراك الموضوعي بين الظواهر الطبيعية والظواهر الانسانية فالكل يملك انطولوجية موضوعية مستقلة، و علمنة الظاهرة الأخلاقية يقوم أيضا على التسليم بمبادئ العلوم الطبيعية التي تتسم بالاطراد، والانتظام، وعليه يقر بريل باننا :".. متى تصورنا أن الحقيقة الاجتماعية جزء من الطبيعة وجب علينا أن نتصور أنها تخضع للقوانين العامة لهذه الطبيعة، وانها تخضع قبل كل شيء لمبدأ شروط الوجود .."[58]

وتصبح بالتالي كل الأخلاق المتعارف عليها أخلاقا طبيعية بحكم انطولوجيا الوجود، فهي ظواهر واقعة فعلا وليست تصورات ذهنية، فهي تعبير عما هو كائن، فالواجب يحتم على التصور الطبيعي للأخلاق أن يفسح المجال للتمظهرات المتعددة للأخلاق فجميع "...أنواع الأخلاق الموجودة أخلاق طبيعية فهي طبيعية كلها على حد سواء مهما يكن من شأن الدرجة التي تحتلها كل منها في التصنيف الذي نقره لها فأخلاق المجتمعات الاسترالية طبيعية تما ما كأخلاق أهل الصين والاخلاق الصينية طبيعية مثل الأخلاق في كل من اوروبا والأميركتين وكل نوع من هذه الاخلاق هو على وجه الدقة النوع الذي كان يمكن أن يوجد بناء على مجموعة الشروط الموجودة بالفعل..".[59]

ليفي بريل مجموعة من النماذج أو الظواهر لمقاربتها بحثيا مع الأخلاق الطبيعية، فالطبيعة البشرية تقوم على مجموعة أسس أهمها القول بأخلاقية الانسان الطبيعية، فهو كان أخلاقي بطبعه، كما هو عاقل بالطبيعة أيضا، وعليه تكون الأخلاق كمجموعة قواعد وأوامر عبارة عن ظواهر اجتماعية ترتبط بمجتمع بعينه، فلكل مجتمع خصوصيته الأخلاقية وفردية ثقافية بعينها، فالعادات الخلقية والتقاليد تمارس سلطة القسر والاكراه في صور المحرمات – التابوهات – وبهذا يمكن التسليم بطبيعية الأخلاق.

ويستأنس أيضا بفكرة الديانة الطبيعية التي تعتمد المبادئ الطبيعية في القول بالمشترك الاخلاقي في مقابل الديانات التاريخية التي رسخت للاختلاف القيمي، فالأخلاق الطبيعية – وإن تشكلت بصورة فلسفية كما يقول ليفي بريل فكرة دينية في جوهرها، فالطبيعة التي تنير أمام الانسان طريق التفرقة بين الخير والشر، والتي تجعله كائنا خلقيا من بين الكائنات ما زالت نوعا من العناية الالهية ولكنها عناية اكتسبت طابعا مدنيا هي الأخرى..[60]

وحسب ليفي بريل تضعنا الأخلاق الطبيعية بالصورة الفلسفية مجرّد تمويها، واجتنابا صارخا للمنهجية العلمية، على قاعدة التنظير الذي فرضته على نفسها، من قبيل البحث عن الاصول المشتركة في الظواهر الأخلاقية أو المسائل بالاصطلاح النظري مثل أصل الضمير ومصادره، ومطلقية القيم مثل العدل وغيره، والتي إذا تم التعاطي معها بأسلوب علمي تجريبي ميداني تصبح نسبية ومجرد انعكاس للظواهر الاجتماعية السائدة، فحسب بريل :" الحقائق الأخلاقية تعاني نوعا غريبا من التشويه خارج بلادها الأصلية ...ففي المجتمعات التي توجد فيها الطبقات الاجتماعية ينحصر العدل في معاملة كل امرئ تبعا لطبقته فالبراهماني يعامل معاملة البراهماني والمنبوذ يعامل معاملة المنبوذ..."[61]

وهذه المعاني الأخلاقية المجردة ليست في نظر ليفي بريل الا صورا رمزيا غامضة لا تقدم شيئا حقيقيا وواقعيا للأفراد و للجماعة، فهي " نظرة عامة ومجردة ..لا تنطوي على تلك القيمة التي ينسبها الناس اليها، وهي انها تعبر في جميع الأزمان والأمكنة عن العنصر الجوهري الخالد في معنى العدل فهي صيغة جوفاء إذا نظرنا اليها في حد ذاتها..."[62] . كما أن المرجع الذي تعتمده هذه التصورات ليس الوحي او الالهام –الحدس- الطبيعي هو الوقائع الاجتماعية المستقلة، وليس العقل المجرد فالمضمون الأخلاقي يأتي من الحقيقة الاجتماعية التي توجد في كل عصر. فالتقدم الأخلاقي حسبه لا يرتبط بالنظر الفلسفي في القضايا الأخلاقية بل يعود الى " أن عددا من

الضمائر الخاصة قد طالب به واقتضاه منذ عهد قريب وأحيانا منذ عهد بعيد جدا.."[63].

وخلاصة الفصل أن منهج التعامل مع القضايا الأخلاقية إذا كان غرضه العلمية والموضوعية فعليه اعتماد النظرة التكاملية لعناصر البحث، بحكم ان الطبيعة البشرية حقل مشترك بين كثير من العلوم، كما عليه التدقيق في جزئيات البحث لطبيعته المركبة والتي تتداخل فيها مع عدة عناصر، فعلى سبيل الاستئناس إذا كانت الأوامر والنواهي موضوع البحث يستوجب على العالم كما يقول:" أن يتبع منهجا يسير في طريق مضاد على وجه الدقة فيجب عليه أن يحاول تحديد الاوامر والنواهي التي يؤخذ بها أعضاء المجتمع من هذا القبيل، وأن يعرف في أي مظهر تبدو ضروب الالزام والحظر، وما الجزاء الذي يترتب عليها...."[64]

الفصل الثامن: العاطفة الخلقية

يضعنا سؤال الطبيعة الانسانية أمام مفترق من النتائج والتفسيرات، فهي بطبيعتها ذات مرجعية متضادة، مادية حسية، ومجرّدة في ذات الوقت، وتتفاوت في نسبة الخطورة، والمسلّمة التي يقرها اوجست كومت والتي ما نصها:" يجب الا نفسِّر الانسانية بالإنسان، بل يجب على العكس من ذلك أن نفسر الانسان بالإنسانية"[65]

والحياة الانفعالية مظهر من هذه الطبيعة يعكس مدى الأشكلة التي تطرحها الطبيعة، والعاطفة جزء رئيس فيها، فهي المحرّك والباعث على الفعل الانساني، وأي تفسير للظاهرة الانسانية بعيدا عن دراسة للعاطفة يكون عبثيا، ولهذا أفرد ليفي بريل في كتابه فصلا لنوع من العواطف وهو العاطفة الأخلاقية لارتباطها بالمنظومة القيمية عامة و الأخلاقية خاصة، وحسب ليفي بريل ترجع المدرسة الكلاسيكية او الفلسفة النظرية في الأخلاق العاطفة الى توافق او عدم التوافق بين التصورات الذهنية، وهذه النظرية ذات جذور نفسية محضة، وتعتقد أن وضوح او غموض التصورات هي التي تشكل الضمير الفردي، فقوة الضمير من وضوح التصورات التي يملكها، وحسب بريل المكونات الاجتماعية لهذه التصورات هي الطاقة القاهرة والآمرة ، وهي تعبر عن نفسها حسب – بريل – في كل ضمير فردي ببعض العواطف التي تدفع المرء الى القيام ببعض الأفعال، او الموافقة عليها، او الى توجيه اللوم الى صاحبها.."[66] فهي تستمد العواطف مصدرها وقوتها من الموروث الاجتماعي، وليس من الذات نفسها.

والطريقة التي يقدمها بريل تتوائم مع المنهجية العلمية التي يفترضها في دراسة الظواهر ألأخلاقية، وحسب تصريحه فإنها مختلفة تمام الاختلاف مع النهج النفسي المتبع في التعاطي مع العواطف الأخلاقية.

والنص التالي يبين ذلك :".. نحن من أشياع طريقة أخرى مختلفة كل الاختلاف، وهي الطريقة التي تلاحظ الحقيقة الاجتماعية الموجودة بالفعل ملاحظة موضوعية، والتي تدرس الحقيقة في الحضارة التي نعيش فيها، والتي تقارن بينها وبين الحضارات الأخرى التي يمكن معرفتها .. ونطالب باستخدام نفس الطريقة التي بدت منتجة في علوم الحقيقة المادية، وباستخدام هذه الطريقة ... لا تبدو الدراسة النفسية أو الخلقية للعواطف جزءا من العلم الذي يشغلنا..."[67].

ولبلوغ معرفة موضوعية بالعواطف الأخلاقية يلزم اطلاعا واسعا ودقيقا بالوثائق الاجتماعية والانتروبولوجية، التي تمكننا من إجراء مقارنة بين الحالات والظواهر الانفعالية، ومن خلال اعتماد حالات وعينات من المجتمعات الابتدائية او البدائية، فإذا تم دراسة ".. العادات الخلقية والديانات والعواطف في هذه المجتمعات [البدائية] دراسة دقيقة حصلنا على مواد أولية ثمينة جدا تتيح لنا إعادة تركيب الحالة الأخلاقية والعقلية لإنسانية بدائية الى حدّ ما."[68]

فالتركيب العلمي قائم على دقة المعطيات التي يصل اليها الباحث، و البناء الذهني للتركيب ليس تخيلا او تجريدا محضا بل هو عملية تجريبية تستند على البحث عن شبكة الروابط والعلاقات التي تتضمنها المعطيات الاجتماعية التي استقيناها من دراسة المجتمعات السابقة، مع المجتمعات الراهنة التي نعمل على دراستها، فالمشترك الانساني عند ليفي بريل ليس أمرا مجردا، بل هو ظاهرة اجتماعية واقعية ومقررة.

ويخلص بريل في الفصل الى أن العواطف الأخلاقية الخاصة بمجتمع معين تكون خاضعة لتصورات هذا المجتمع ومعتقداته وعاداته الاجتماعية، وإذا أردنا معرفتها – كما يقول ليفي بريل - وجب على أقل تقدير أن ندرس المجموعات الاجتماعية الرئيسية دراسة اجتماعية ففضلا عن أننا لا نستطيع اتخاذ عواطفنا معيارا لأحكامنا، كذلك لسنا في وضع يسمح لنا بأن نصدر أحكامنا على عواطفنا نفسها.."[69]

وتبقي الموضوعية المطلب الرئيس عند ليفي بريل في التعامل مع المسائل الأخلاقية؛ وكل تقدم علمي على مستوى النتائج يبقى مشروطا بمدى الرقي بالمناهج، فعقم النظريات الأخلاقية يرجع الى ركون الباحثين الى التجريد الفلسفي الذي لا يزيد الباحث الا بعدا عن الحقيقة الموضوعية.

الفصل التاسع: نتائج عملية

يستهل ليفي بريل الفصل التاسع من خلال تأكيده على وجهة نظره التي يسلم فيها بعبثية الأخلاق النظرية، وعدم جدواها أمام علم العادات الخلقية القائم على أسس علمية وتجريبية، فحتى النتائج العملية التي عنون بها الفصل يحذر في مدخلها على ابتعادها عن المعنى المألوف من الأخلاق العملية او النتائج العملية للأخلاق النظرية، فإذا كانت الاخلاق النظرية عنده تم الاستعاضة عنها بعلم العادات، فكذلك الحال ينطبق على الاخلاق العملية،".. لن يجد القارئ شيئا على بعض هيئة نعض النتائج العملية الت يتشبه الأخلاق العملية التي يستنبطها الفلاسفة من اخلاقهم النظرية بحسب الظاهر في الأقل فيستعاض عن التفكير الجدلي النظري في المعاني الكلية والعواطف الأخلاقية بالمعرفة العلمية لقوانين الحقيقة الاجتماعية وبالمثل ستعدل الأخلاق العملية التقليدية بفن عقلي أخلاقي او فنا اجتماعيا يقوم على اساس المعرفة العلمية.[70]

ويعتقد ليفي بريل بأن مسار الفن الجديد الذي يعوِّض الأخلاق العملية يحاكي مسار علم الظواهر الخلقية، فهو أيضا مشروط بتقدُّم العلوم، وتكاملها المعرفي والمنهجي، وتقريبا تعترضه نفس العوائق التي تقف أمام علمية علم العادات الخلقية، فالفن الأخلاقي العقلي – كما يقول – سواء أكان خاصا بالسلوك الفردي أم بسلوك الجماعة، في حاجة لأن يوضع بأسره ولن يتكون هذا الفن الا شيئا فشيئا، تبعا لتقدم العلوم التي يتوقف عليها وربما كانت نشأته بطيئة جدا..."[71]

وهذا الفن البديل الذي يقدِّمه ليفي بريل يسلّم بمبدأ النسبية، فهو لا يخجل من محدوديته ونسبيته، بل يعكس ايمانه بهذا المبدأ المنحى العلمي فيه والتوجه الموضوعي الذي يمكِّنه من الارتقاء وبلوغ الدقة التي احتلتها العلوم الطبيعية فهو ".. الفن الوحيد من بين جميع الفنون الانسانية، الذي لا يعترف بأنه فن ناقص، وانه إذا بلغ نقطة معينة في الأقل فمن الممكن أن يفشل بسبب بعض الصعوبات التي لا يمكن التغلب عليها وهو لا يعلم من هذه الصعوبات سوى تلك التي تقابله بها الأهواء والآراء الوهمية .."[72]

وإذا كان علم الاخلاق في نظره مشروط بالتقدم العلمي، فكذلك يكون الفن الأخلاقي العقلي محدودا ومقيّدا بنسبة التقدُّم العلمي والتجريبي، وهو كعلم مستقل لم يوجد بعد بحكم تأخر الدراسات الاجتماعية العلمية وهذا ما يصرح به ليفي بريل قائلا:".. نرى أن العلم الذي يجب ان يقوم على أساسه الفن الأخلاقي العقلي لا يوجد في أي مكان حتى الان فلا توجد في أي مكان معرفة علمية عن حقيقة الأسرة، أي عن الشروط التشريعية والدينية والاقتصادية التي تشكلت فيها بصورة دون الأخرى ..."[73]

والملاحظ على ليفي بريل العمل على التأسيس المنهجي لهذا العلم ولهذا الفن بعيدا عن نقاط التقاطع بينه وبين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية، وفي هذا الفصل يبين لنا نقاط الافتراق بينهما، فمهما يظهر بأن هناك أمور مشتركة بينهما، فإن الفرق الرئيس بينهما يمكن في الإيمان بروح النسبية عكس الدوجمائية و المطلقية التي يتغنى بها الفلاسفة .

ويصل بريل بنا الى محطة يفترض ان نصل اليها انطلاقا من مسلماته في علم الاخلاق الطبيعوي، وفي فن الأخلاق العملي، وهي الشك في الأخلاق ككل ما دام أن العلم الجديد الذي يقدمه كبديل عن الأخلاق النظرية ليس جاهزا لتقديم الحلول للمسائل الأخلاقية التي تعترض الواقع الانساني فرديا كان أو جماعيا، ويرد بريل على الاعتراض بقوله ".. قد بينا أن تهمة الشك لا تقوم على أساس. فإنه لا يترتب على القول بنسبية أخلاقنا أنها تفقد كل قيمتها مباشرة فانا لسنا مضطرين الى الاختيار بين احد الأمرين فقط: إما أن تكون الاخلاق ذات طابع مطلق، وإما أن تفقد سلطانها .."[74]

والدليل في ذلك عنده أن المذاهب التجريبية في الأخلاق لجأت كلها الى القول بنسبية الأخلاق دون ان ترى في ذلك التسليم اهتزازا ونقضا للمبادئ التي تعتقد فيها، فالقول بالنسبية لا يهدم الحقيقة الموضوعية بل يعمل على قيامها وتأسيسها في الشكل الصحيح، كما أن النسبية لا تجرِّد الأخلاق من السلطة والمشروعية بل " إن نفس هذه السلطة ونفس هذه المشروعية تصبحان نسبيتين.[75]

خاتمة:

كما أننا نجد أن التوجه النسبي في الأخلاق والذي ميز المدرسة الفرنسية في العلوم الاجتماعية قد ساهم في ميلاد مجال

بحثي جديد في فلسفة الأخلاق يعرف بالأخلاق الجديدة التي تصنف كفرع من فروع الفلسفة التطبيقية، واصطلاح الأخلاق التطبيقية، أوالأخلاق الجديدة يوحي بثنائية ضدّية داخل العبارة، فالمؤشّر الأول التقاطع القائم بين الأخلاق كمفهوم، ومنتوج تراكمي في التاريخ الفلسفي، والأخلاق التطبيقية، من حيث الدلالة الاصطلاحية، الذي يشير إلى التفرّد، والتميّز الذي تمتلكه هذا اللون من الدراسات الأخلاقية.

كما أن تعريف الأخلاق الجديدة من خلال العوائق التي تصطدم بها البحوث يستند على مرجعية براغماتية، فالقول بأن الأخلاق التطبيقية هي التأصيل الجديد للقيم الأخلاقية على ضوء أسس نسبية، وليست مطلقة، على شاكلة الفلسفة الخلقية الكلاسيكية التي تقيم، وتستقرّ في الفضاء النظري المجرد، المجال الذي يقع حسب الشاعر هينه *Christian Johann Heinrich Heine*[76] في القطب الشمالي للفكر حيث لا بد لعقل المرء أن يتجمّد في صقيع المجرد.

ولذا أقامت الفلسفة الواقعية، والذرائعية الأخلاق الجديدة على أسس متغيرة، مستقاة من الواقع، ومن الأزمات التي تتحايث معها، فالصدمة التي عرفها الإنسان في الفترة المعاصرة كشفت عن ضرورة العودة إلى الأخلاق، أو ما يصطلح عليه بأخلقة العلم عموما، والتقنية خصوصا، فهناك إذن تعريفات تحدد طبيعة الأخلاق التطبيقية من خلال الغاية والقصد، وهناك تعريفات من زاوية الأزمة أو التعريف بالعائق، فالأزمة التي عرفتها القيم وراء هذا اللون من الأخلاق.

يورد المفكر ديفيد.ب. رزنيك تعريفا من هذا الجنس للأخلاق التطبيقية في كتابه أخلاقيات العلم، والذي يعود في الأصل حسب إحالة المفكر إلى الكتاب المشترك:Moral Résoning للمؤلفّين: JS, Fox.RM, DeMarco والذي ما نصُّه:"هي دراسة المعضلات الأخلاقية، والخيارات، والمعايير في وظائف ومهن ومواقف عينية محددة وكيفية تطبيق النظريات والمفاهيم القيمية في سياقات معينة."[77]

الأخلاق التطبيقية في النص متعلِقة بالأزمات التي عايشتها بعض الحقول المعرفية، على مستوى القرارات الواجب اتخاذها من طرف العلماء في فضاءات تخصصهم، من قبيل القرار الذي يجد الطبيب فيه نفسه مترددا، وهاملتيا بين مصير المريض الذي بين يديه، وبين القيم الأخلاقية والمفاهيم التي تؤسس للعلاقة بينه وبين مريضه.

ونجد في كتاب الباحثة الايطالية ميشيلا مارزانوا* تأريخا لبدايات الأخلاق التطبيقية، حيث جعلت من هذا اللون من البحث معاصرا أي في سنة 1960 بالولايات المتحدة الأمريكية، إذ اهتم فلاسفة الأخلاق الانجلو سكسون بمسائل جوهرية في الأخلاق، مبتعدين في ذلك عن التحليلات الميتاأخلاقية التي كانت مقتصرة على دراسة وتحليل المفاهيم والدلالات اللغوية للمفاهيم الأخلاقية.[78]

وبالنسبة لفتحي التريكي الايتيقا العامة تختلف عن الأخلاقيات المطبقة، حيث تفرض العامة تفكيرا عاما عن الإنسان، وعن نمط حياته، والأخلاقيات المطبقة تتخذ شكلا مغايرا كلما التحمت بميدان معين، فهي مثلا إذا ما تم تطبيقها على الرياضة، تكونت الأخلاقيات الرياضية التي تهدف أساسا إلى حماية الرياضة من التدخّلات التجارية ومن العنف وأشكال الإطاحة بمواثيقها.."[79]

ونجد في تعريف عمر بوفتاس* تركيبيا للأخلاق التطبيقية ما نصُّه:" هي مجموعة من القواعد الأخلاقية العملية المجالية، تسعى لتنظيم الممارسة داخل مختلف ميادين العلم والتكنولوجيا وما يرتبط بها من أنشطة اجتماعية واقتصادية ومهنية، كما تحاول أن تحل المشاكل الأخلاقية التي تطرحها تلك الميادين، لا انطلاقا من معايير أخلاقية جاهزة ومطلقة، بل اعتمادا على ما يتم التوصل إليه بواسطة التداول والتوافق، وعلى المعالجة الأخلاقية للحالات الخاصة والمعقّدة أو المستعصية Casuistique[80] .

والأخلاق التطبيقية ليست مخاض اعتباطي لا يمتُّ بصلة إلى مرجعية، أو أرضية واقعية تاريخية، فالدعوة إلى أخلاق جديدة، أو الفكر الأخلاقي الجديد نتاج مجموعة من مقدمات، بعضها تاريخي ولد من رحم الحداثة، أي تبلور مع الفكر الحداثي، فالقول بالذاتية، وإفلاس المعنى، وتشظِّيه مع الحداثة، وما بعدها، وسقوط التصورات الشمولية الكليانية، وثورة المعلومات، وتقدم التقنية الحيوية.. وراء القول بفكر أخلاقي جديد، كما نجد في الفلسفة الخلقية ذاتها مقدمات لظهور هذا اللون من الدراسات الأخلاقية، والتي سنعتمدها في طرح رؤيتنا للقول بوجود الفكر الأخلاقي الذي ينعت بالجديد في الدراسات السابقة، فالفكر الإنساني لا يحقّب بلحظة، فكل تحقيب إنّما هو تصنيف، وأدلجة للفكر.

قائمة المصادروالمراجع

1. القران الكريم

المصادر :

1. بريل، ليفي، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ترجمة محمود قاسم، مراجعة بدوي، شركة مصطفى الحلبي واولاده مصر 1953
2. ..... فلسفة اوغست كونت، تر: محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، الطبعة الثانية، مصر

المراجع:

1. الغزالي، أبي حامد، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، الطبعة الأولى بيروت، 2005
2. الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة 1985
3. بارودي، المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر، تر محمد غلاب، مكتبة الانجلو المصرية، ط:2
4. بوفتاس، عمر، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، أيام 21-22-23 جمادى الثانية 1432هـ الموافق لـ25-26-27 ماي 2011م، الدار البيضاء، بعنوان: "سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر"
5. زكريا إبراهيم مشكلة الإنسان، مكتبة مصر القاهرة 1990
6. سيدجويك، المجمل في تاريخ علم الاخلاق ترجمة توفيق الطويل دار نشر الثقافة بالإسكندرية الطبعة الاولى 1949
7. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي المغربي، الرباط، الطبعة الثانية
8. كانط، ايمانويل، الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط:2- 1976
9. مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دار الكتب العلمية بيروت
10. نورة بوحناش، الأخلاق والرهانات الإنسانية، إفريقيا الشرق، المغرب 2013
11. يحي بن عدي، تهذيب الأخلاق، دار الشروق، بيروت، 1985(د.ط)

❖ المصادر باللغة الأجنبية:

1. L. Lévy-Bruhl, La Morale et la science Des Mœurs, félix alcan ,éditeur paris,4 éd. 1910
2. Lévy-Bruhl, La Morale et la science Des Mœurs, ibid,P:31
3. Gustaphe. Belot, études de morale positive 1907
4. Michela Marzano, L'éthique Appliquée, PUF 2 édit paris 2012

❖ المعاجم:

1. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1979.
2. ابن منظور، لسان العرب، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.
3. الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق فوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق ط1 1412 هـ
4. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع.
5. الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 2005

❖ الدوريات:

ديفيد ب رزنيك، أخلاقيات العلم، ترجمة: عبد النور عبد المنعم، عالم المعرفة العدد:316 يونيو 2005

* تعددت الدلالات التي تحملها كلمة فيلو او فيليا، والمتعارف عليه أن الفلسفة محبة للحكمة، والبعض ينظر لكلمة فيلو انطلاقا من قراءة دقيقة للمعنى في لغتها الاغريقية أنه تفيد الصداقة وليس المحبة مثل الأستاذة هدى الخولي

* أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي توفي:395 هـ لغوي، وشاعر، له حوالي 46 مؤلفا في حقول معرفية متنوعة، منها أخلاق النبي (ص)..

[1] أحمد، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج: 2 تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1979 ص: 213

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج:1 إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، ص.ص:889-890

[3] المصدر نفسه، ص:891

[4] سورة القلم، الآية:4

[5] سورة البقرة الآية: 200

[6] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح فوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ط1 1412 ص: 297

[7] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي، ج25 دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع ص: 275 د.ت

[8] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن مرجع سابق، ص 158

[9] الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، 2005 ص: 881

[10] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص:890

[11] مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، دار الكتب العلمية بيروت 1981 ص:51

[*] يحيى بن عدي، فيلسوف، ومترجم للفلسفة، من مؤلّفاته: تهذيب الأخلاق..

[12] يحي بن عدي، تهذيب الأخلاق، دار الشروق، بيروت، 1985 ص:47 (د.ط)

[13] الغزالي، أبي حامد، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، الطبعة الأولى بيروت، 2005 ص:934

[14] نورة بوحناش، الأخلاق والرهانات الإنسانية، إفريقيا الشرق، المغرب 2013 ص : 36

[15] الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة 1985 ص:106

[16] نورة بوحناش، الأخلاق والرهانات الإنسانية ، مرجع سابق، ص:37

[*] جالينوس:[200/129 م] طبيب وفيلسوف يوناني.

[17] طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي المغربي، الرباط، الطبعة الثانية، ص: 381

[18] كانط، ايمانويل، الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط:2- 1976 ص:7

[19] Gustaphe .Belot, études de morale positive 1907 pp 68-70

[20] زكريا إبراهيم مشكلة الإنسان، ص: 14

[*] عالم اجتماع فرنسي، من اهم كتبه: الفلسفة الوضعية.

[21] توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، مرجع سابق، ص : 246

[22] ليفي بريل، فلسفة اوغست كونت، تر: محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة الطبعة الثانية، ص: 212 د.ت

[23] المصدر نفسه، ص 213

[24] المصدر نفسه، ص: 219

[25] المصدر نفسه، ص: 316

[26] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ترجمة محمود قاسم، شركة مصطفى الحلبي واولاده مصر 1953 ص: 50

[27] المصدر نفسه، ص:56

[28] المصدر نفسه، ص:62

[29] المصدر نفسه، ص:63

[30] ينظر مقدمة كتاب "المجمل في تاريخ علم الاخلاق للدكتور هـ. سيدجويك الجزء الأول ترجمة توفيق الطويل دار نشر الثقافة بالإسكندرية الطبعة الاولى 1949 ص:17

[31] المصدر نفسه، ص:90

[32] المصدر نفسه، ص:91

[33] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[34] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ص:92

[35] L. Lévy-Bruhl, La Morale et la science Des Mœurs, félix alcan ,éditeur paris,4 éd. 1910 ,p:67

[36] Ibid P:83

[37] بارودي، المشكلة الأخلاقية والفكر المعاصر، تر محمد غلاب، مكتبة الانجلو المصرية، ط:2 . ص: 34 (د.ت)

[38] المرجع نفسه، ص :35

[39]. Lévy-Bruhl, La Morale et la science Des Mœurs, ibid,P:31

[40] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ص: 166

[41] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ص: 166

[42] المصدر نفسه، ص:167

[43] المصدر نفسه، ص:169

[44] المصدر نفسه، ص:169

[45] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ص:193

[46] المصدر نفسه، ص:199

[47] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ص: 203

[48] المصدر نفسه، ص: 204

[49] المصدر نفسه، ص:206

[50] المصدر نفسه ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية ، ص:213

[51] المصدر نفسه، ص:215

[52] المصدر نفسه، ص: 239

[53] المصدر نفسه، ص: 242

[54] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية ، ص:256

[55] المصدر نفسه، ص: 257

[56] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[57] المصدر نفسه، ص:261

[58] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية ، ص: 287

[59] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[60] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ص: 292

[61] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ص: 307

[62] المصدر نفسه، ص:308

[63] المصدر نفسه، ص:309

[64] المصدر نفسه، ص:300

[65] المصدر نفسه، ص: 327

[66] المصدر نفسه، ص: 320

[67] المصدر نفسه، ص:317

[68] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ص: 324

[69] المصدر نفسه، ص: 335

[70] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ص: 353

[71] المصدر نفسه، ص: 354

[72] المصدر نفسه، ص:356

[73] المصدر نفسه، ص:357

[74] ليفي بريل، الاخلاق وعلم العادات الخلقية، ص: 366

[75] المصدر نفسه، ص:367

[76] كريستيان هاينى 1797 /1856 شاعر ألماني.

[77] ديفيد ب رزنيك، أخلاقيات العلم، ترجمة: عبد النور عبد المنعم، عالم المعرفة العدد:316 يونيو 2005 ص: 36

[*] مفكرة ايطالية معاصرة من مواليد :1970 تنتمي إلى اليسار الايطالي

[78] Michela Marzano,L'éthique Appliquée, PUF 2 édit paris 2012p :3

[79] فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية، مرجع سابق، ص : 191

[*] عمر بوفتاس، مفكر مغربي معاصر

[80] عمر بوفتاس، دراسة منشورة ضمن أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، أيام 21-22-23 جمادى الثانية 1432هـ الموافق لـ25-26-27 ماي 2011م، الدار البيضاء، بعنوان: "سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر"ص109